اسم و لقب الأستاذ: وافيه حملاوي

المادة: مناهج دراسة الفلكلور

المستوى: أولى ماستر

التخصص: أدب حديث ومعاصر

المـحاضرة الثانيــة: المنهـج التاريخـي

يعتمد المنهج التاريخي على الحصول على معلومات عن العناصر الفلكلورية من عصور مختلفة، وبيان الحاضر (الحيّ) لن يكون إلّا مرحلة من مراحل التطور ضمن سلسلة من المراحل التّي ينوي الباحث إخضاعها للدّرس والتّحليل، للكشف عمّا اعترى هذا العنصر من تحوّلات عبر التاريخ.

يُعدّ "المنهج التاريخي" من أقدم المناهج التي اعتمدها الغربيون في دراسة الفلكلور ، لكن يقول د/صفوت كمال: إنّ العرب هم روّاد هذا المنهج، و من أهمّهم "ابن خلدون" الذّي انتبه إلى التغيّرات التي حدثت في المجتمع العربي نتيجة الانتقال من حالة اجتماعية إلى أخرى .

في هذا السياق يقول (صفوت كمال) نقلا عن (عبد الحميد يونس):

(لقد أفاد " ابن خلدون" من ملاحظته المباشرة، ومن دراسته على السّواء، و استطاع بنزعته إلى التّعميم الفلسفي أن يضع بين يدي الباحثين بعده من وجوه التشابه بين الأدب الفصيح المعبّر عن الوجدان الجمعي، وبين الأدب البدوي المعبّر عن هذا الوجدان، وهو التّشابه الذّي يجعل أيّام العرب تتواصل عبر التاريخ وتحتفظ بمشخصاتها على الرغم من الانتشار في المكان واختلاف اللهجات).

إنّ المنهج التاريخي في الفولكلور ليس مجرّد سرد زمني، بل هو علم يعيد بناء الذاكرة الجمعية، وهو أحد أهم المناهج الأساسية لفهم تطور الظواهر الثقافية الشعبية عبر الزمن وذلك عبر تتبع:

- الجذور (الأصول).
- التحولات (التّطور الزمني).
- التّفاعل مع السّياقات (الاجتماعية، السياسية، الدينية).
- التّأريخ بنوعيه :
  - **التّأريخ العمودي**: أي تتبّع طبقات الحكاية عبر العصور، مثل: طبقات " سيرة بني هلال" من القرن 11 إلى القرن 21 .
  - **التّأريخ الأفقي**: دراسة التفاعل مع الثقافات المجاورة، مثل : تأثير الثقافة الفارسية على حكايات "ألف ليلة وليلة ".

<u>أهم مبادئ المنهج التاريخي في الدّراسات الفولكلورية:</u>

1/ التتبّع الزمني:

دراسة العناصر الفولكلورية كالأساطير والأغاني والعادات، من خلال تحديد فترة نشأتها الأولى ومراحل تطوّرها، مثل : تتبّع أغاني العمل في الرّيف المصري من العصر الفاطمي إلى اليوم.

2/ السّياق التاريخي الاجتماعي:

ربط المادة الفولكلورية بالأحداث التاريخية: كالحروب والهجرات، والتغيرات الدّينية، مثلا: دراسة تأثير الغزو المغولي على حكايات العراق الشعبية.

3/ نقد المصادر:

تحليل مصداقية الرُّواة والمخطوطات والمدونات الشفوية، مثل تمييز الطبقات الزمنية في روايات "ألف ليلة وليلة".

4/ الانتشار الجغرافي:

تتبع مسارات انتقال العناصر الفولكلورية بين المناطق، كدراسة كيف انتقلت أسطورة "الغول" من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا.

5/ المقارنة مع الوثائق التاريخية:

مثلا: مقارنة روايات الشعب عن ثورة "عمر المختار" مع الوثائق الاستعمارية الإيطالية.

<u>أدوات المنهج التاريخي في الفولكلور:</u>

- **المصادر الأثرية**: مثل النقوش على جدران مدائن صالح التي سجّلت عادات قبيلة ثمود.
- **المصادر الشفوية**: كروايات كبار السنّ عن تقاليد "القهوة العربية" في البادية، وهذا النّوع من المصادر (أي الشفوية) يتطلبّ مراعاة لبعض الأمور، أهمها:
  - الاتصال المباشر بالرواة والمخبرين دون إثارة أي استغراب أو نفور.
  - الحرص على عدم إظهار آلة تسجيل أو أوراق للتدوين أو آلة تصوير، لتفادي ردود الأفعال الجانبية (نفور، خجل، شعور بالرقابة ....).
  - عدم توجيه المُحاور أسئلة محددة للرّاوي. لكي لا يشعر هذا الأخير بأنّه في استنطاق، بل الاعتماد على التّداعي الحرّ للأفكار و الاستطرادات مع توجيه لَبِقٍ وغير مباشر إلى الموضوعات المراد بحثها.
  - الأمانة المطلقة في نقل النّصوص حرفيا، حتّى الكلمات البذيئة والغريبة والغامضة.
  - عدم ممارسة الانتقاء، لأنّ ما يبدو وقتئذ تافها، قد يجد فيه فائدة كبيرة فيما بعد.
  - أن يبدي الباحث حيادا مطلقا إزاء ما يقوله الراوي، فلا يستاء ولا يستحسن ولا يُعلّق...
  - جمع كلّ الروايات المتوفّرة للنصّ الواحد، بما في ذلك الروايات الناقصة أو المشوّهة، وذلك لتمكين الباحث من المقارنة والتحليل.
  - إذا كان لا بدّ من التّرجمة أو التّعريب، فلا بدّ من المحافظة على النصّ الأصلي.

- لا بدّ من طريقة سهلة وعملية، لكتابة النّص الشفهي بشكلٍ ينقل كلّ خصوصياته الصّوتية والأدائية.
- الاحتفاظ بالأشرطة الصوتية والمرئية (والصور) ونشرها مع النصّ إن أمكن.
- من الضّروري أخذ بطاقة معلومات شاملة عن الراوي.

-الوثائق الرسمية: مثل فرمانات العثمانيين التّي تحظر بعض الأغاني الشعبية.

-الأدب المكتوب: كتوظيف (ابن بطوطة) لوصف عادات الشّعوب في رحلته.

<u>التحديات التي تواجه المنهج التاريخي في الفولكلور العربي:</u>

- ندرة المصادر المكتوبة قبل القرن 19 (ما أدّى إلى اعتماد كبير على الرواية الشّفوية).
- تداخل الطبقات الزمنية في المادة الفولكلورية (مثلا احتفالات المولد النبوي تجمع بين طقوس صوفية وفرعونية).
- تحيّز بعض المصادر التاريخية (كوصف المستشرقين للفولكلور العربي بأنّه بدائي).

<u>نماذج تطبيقية على الفولكلور العربية:</u>

1/ سيرة بني هلال :

استخدم الباحثون المنهج التاريخي لربط أحداث السيرة (مثل هجرة بني هلال إلى تونس) بالصّراعات القَبَلِية في القرن 11، معتمدين على:

- المخطوطات القديمة (كنسخة دار الكتب المصرية).
- مقارنة الروايات الشفوية في مصر والسودان مع سجلات المؤرخين مثل: ابن خلدون.

2/ الطقوس الزراعية :

دراسة طقوس (طلب المطر بالرقص والدّعاء في المغرب العربي)، حيث وُجدت تشابهات مع طقوس فينيقية منقوشة في معبد " بعلبك " بـ (لبنان).

3/ الأزياء الشعبية:

تحليل أزياء (الملاية والحايك) في الجزائر، وربطها بملابس النّساء الأندلسيات في القرن الخامس عشر عبر اللّوحات.

4/الحكايات الشعبية:

اكتشاف أنّ حكاية علاء الدين والمصباح السحري (المنسوبة إلى ألف ليلة وليلة) ظهرت أوّلا في مخطوطات يمنية من القرن 12، قبل أن تترجم إلى الفرنسية في القرن 18.